بغية الحفاظ على حالة اللاحرب واللاسلم في الشرق الاوسط ، بمساعدة الولايات المتحدة ، فقد بدا ان كفة اسرائيل تميل للرجوع عسكريا في ظل هذا الوضع الذي مكنها من ترسيخ سلطانها على الاراضي العربية التي احتلتها عام ١٩٦٧ .

ولتحقيق هذا الهدف ، برزت مقاومة عنيدة لاي محاولة تدخل من جانب الدول الكبرى في قضايا الشرق الاوسط . كذلك سعت اسرائيل جاهدة ان تستمر مساعدات الولايات المتحدة العسكرية لها حتى تبقى متفوقة على الدول العربية وكي يشعر العرب بأن لجوءهم الى السلاح لن يجدي فتيلا . أما العرب فكثيرا ما استلموا دعوات الى اجراء مفاوضات مباشرة مع اسرائيل مرفقة بتحذير مسبق مفاده ان الحدود الامنة التي تسعى اسرائيل لاقامتها تتطلب أكثر من تغييرات هامشية .

قبل الحرب [حرب اكتوبر] بفترة وجيزة قال اريك شارون ، القائد السابق للجبهة الاسرائيلية الجنوبية : « لا ترتكبوا أي خطأ ، نحن الان قوة عسكرية حقيقية ، وليس للمصريين امل في احراز انتصار عسكري علينا البتة »(٤) واستطرد شارون قائلا : « [تشكل] اسرائيل الان قوة عسكرية عظمى ، فكافة قوات الدول الاوروبية أقل شأنا منا . ان في استطاعتنا الاستيلاء على المنطقة الواقعة بين الخرطوم وبغداد في يوم واحد »(٥).

أما العرب فقد كانت مبادرتهم في الهجوم عبارة عن مغامرة يائسة خاضوها بغية زعزعة الاستراتيجية الإسرائيلية . وقد استوجب تحقيق هذا الهدف تحديا عسكريا من جهة العرب للوضع الراهن (المتمثل بتفوق اسرائيل عسكريا) شرط ان يتجنبوا الهزيمة . وقد كان هذا تماما ما نجح العرب في تنفيذه اذ انهم كسروا طوق حالة اللاحرب واللاسلم وشكلوا تحديا لتفوق اسرائيل العسكري .

وقد افترضت اسرائيل ومعها معظم دول العالم طوال الفترة الممتدة بين عامي ١٩٤٨ و١٩٧٣ بأنها القوة العسكرية التي لا تنازع بين دول الشرق الاوسط . كما ساد شعور عام بأن جنديا اسرائيليا واحدا يوازي عددا من الجنود العرب مجموعين اذ ان هؤلاء يجهلون أصول القتال ، ثم انه ليس لديهم الرغبة في القتال على أية حال . وقد برر مسجل الصراع العربي ـ الاسرائيلي هذه الفرضية . ففي ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ كسبت اسرائيل حربها الاولى ضد جيرانها العرب الذين برهنوا عن فوضويتهم وتصورهم . وتكرر هذا الانتصار في العام ١٩٥٦ عندما نجحت اسرائيل في انتزاع مخرج على البحر الاحمر عبر مضيق تيران . ثم جاءت حرب حزيران عام ١٩٦٧ لتتوج الانتصارات الاسرائيلية حيث ان الجيش الاسرائيلي سحق الجيوش المصرية والسورية والاردنية مجتمعة . غير ان هذه الفرضية لم تلبث ان تحطمت . فقد برهن الجندي العربي [خلال الحرب الاخيرة] عن كفاءة في القتال ومقدرة على استعمال الاسلحة المعقدة . كذلك أظهر الجندي العربي ان باستطاعته ان يفاجيء الجندي الاسرائيلي من حيث لا يدري وان يتفوق عليه في المعركة تكتيكيا كما اثبت قدرته على العمل الجماعي المتناسق .

وقد ورد في « وول ستريت جورنال » ان حرب اكتوبر يجب ان تعطي اسرائيل فرصة للتفكير . فاسرائيل « تشبه مدينة محاصرة . فهؤلاء الذين [يقفون] وراء الاسوار ، يمكنهم كسب معارك عديدة دون ان ينتصروا كما ان باستطاعة اولئك الذين يقفون خارج الاسوار ان يخسروا مرارا عديدة دون ان يهزموا . اما الذين يدافعون عن المدنية فانهم يخسرون مرة واحدة فقط . لذلك من الصعب على اسرائيل ، الدولة الصغيرة ، ان تهزم جيرانها : مصر والاردن وسوريا ولبنان . فهي تفتقر الى الموارد والطاقة البشرية ، بينما سيظل العدو موجودا بغض النظر عن المعارك التي قد تكسبها اسرائيل . أما بالنسبة لاسرائيل فهزيمة واحدة كافية لان تشكل كارثة »(٦).

بالاضافة الى محو اسطورة « اسرائيل التي لا تقهر» ساهمت حرب اكتوبر في ابراز تبعية اسرائيل للولايات المتحدة واعتمادها عليها . وقد طالب ماك جورج بندي (Mc George Bundy) المستشار السابق لكل من الرئيسين كينيدي وجونسون لشؤون الامن القومي ـ بكشف شامل مسؤول عن التزامات الولايات المتحدة لاسرائيل والا تعرضت [الحكومة الاميركية] للوقوع بخطأ فادح كما حدث في فيتنام . وقد أكد بندي ان « الولايات المتحدة قد أصبحت قوة لا غنى عنها لضمان استمرار اسرائيل »(٧).

واستنادا الى دراسة أعدها الدكتور تيلمان عضو لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ الاميركي ، « من المستبعد ان يسفر مؤتمر